

كانوا يومئذ أمة واحدة يؤمنون بالله ورسوله، ولا يؤثرون شيئاً ولا أحداً على الله ورسوله. كانوا اخوة متصافين متعاونين ليس أمامهم إلا هدف واحد، إليه جميعاً يرمون: أن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

كان الإيمان في قلوبهم حقيقة ثابتة تظهر آثارها في الأقوال والأعمال، لا يقولون إلا الحق، ولا يسعون إلا في الخير، ولا يأمرون إلا بالمعروف، ولا ينهون إلا عن المنكر، ولا يحبون إلا في الله، ولا يبغضون إلا في الله.

كانوا كما وصفهم ربهم ((أشداء على الكفار رحماء بينهم)).

كانوا محبين للحق، مبغضين للباطل، يكرهون المراء والجدال، ولا يشغلون أنفسهم بما لا فائدة فيه من البحوث المتكلفة، والظنون المتخوفة، والتأويلات المحرفة، فسلمت عقولهم من الشكوك، وبرئت صدورهم من الأوهام، وظل إيمانهم بالله ورسوله قوياً لا تشوبه الشوائب، ولا تداخله الريب.

هكذا كان المسلمون الأولون من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا هو سر نجاح الأمة في أول أمرها، وقوة شوكتها، واتساع رقعتها، وشدة هيبتها، فلما أصيبت بالتفريق واتباع الهوى، ولم يعد صوت الدين فيها ملء الأسماع والقلوب كما كان، أردكها الضعف والتزلزل، وطمع فيها الأعداء، ورأوا الفرصة سانحة ليأخذوا منها بنأرهم، فجعلوا يسدّدون لها السهام تلو السهام، وكلما أصيب بسهم من سهامهم ازداد فيها طمعهم، واشتدت في القضاء عليها رغبتهم، وازدادت هي بذلك ضعفاً، وازداد أهلها جزعاً وهلعاً.

ولقد طال عليها الأمد وهي في هذه المحنة، ولو لا قوة بنائها، وسلامة أسسها لهدّمت ذلك البنيان، ولنهارت تلك الأركان، ولكن الله جلت حكمته يريد بذلك تمحيصها، وانه لأرحم من أن يسلمها للذين يبغون إهلاكها وإفنائها، ومعاد الله أن يأس المؤمنين من رَوْح الله، فإن الله يحيى الأرض بعد موتها، وإن الباطل والفساد